الباب السادس

الحلم بين المدح والذم في الأمثال والأدب

الفصلُ الأوّلُ : مدحُ الحلمِ في الأمثالِ والأدبِ .

الفصلُ الثَّاني : ذمُّ الحلمِ في الأمثال .

الفصلُ الأوَّلُ

مَدْحُ الحِلْمِ في الأمثالِ والأدَبِ

* يقتعدُ الحلمُ في مكارمِ الأخلاقِ مكان الرَّأسِ في الجِسْم ، ولذلك نَلْمَحُ أهميَّةَ الحلمِ في أقوالِ العربِ وأمثالهم ، وقد أكثرَ العربُ وأهلُ الأمثالِ من امتداحِ الحلْم ـ كما سنرى ـ وعدُّوه أحدَ مفاخرهم ، وجرى على لسانهم المثلُ المشهور : الحلمُ سيِّدُ الأخلاقِ .

* قال أبو عُبيد ـ رحمه الله ـ : من أمثالهم في الحلم قولهم : إذا نزلَ بكَ الشَّرُّ فاقعُدْ ، أي فاحلُمْ ولا تُسارع إليه[1] .

---

(١) العقد الفريد (٣/ ١٠٤) .

* وقولهم في الحلماء : كأنَّما على رؤوسهم الطّير[1] . لأنَّ الطَّيرَ لا تسقطُ إلا على ساكن .

* وقولهم في الحليم : إنَّه لواقع الطَّير ، ولساكن الرّيح[2] .

يعني أنَّ الحليمَ رزينٌ لا يتحرَّكُ ولا يُحرِّكُ جوارحه .

* وقولهم : حلمي أصمُّ وأُذني غيرُ صمّاء[2] .

* ومن الأمثال المحفوظة في امتداح الحلم هذه الأقوال :

الرِّفقُ ثنيُّ الحلم .

حلمُ ساعة يدفعُ شرًّا كثيراً .

الحلمُ غول الحلم . أي مُهلكُه .

احلُمْ تَسُدْ .

مَنْ حَلُمَ سادَ ، ومَنْ تفهَّمَ ازدادَ[3] .

---

(١) العقد الفريد (٣/ ١٠٤) .

(٢) العقد الفريد (٣/ ١٠٤) .

(٣) عيون الأخبار (٣/ ٢٨٢) .

* وهذا المثلُ يُشيرُ إلى السُّؤدُدِ ، إذ قُرِنَ الحلمُ بالسِّيادة ، بل هو من وسائل السُّؤدد ، وهو من الخصائلِ المُستحسنةِ في السُّؤدُدِ والشَّرف[1] .

* وقال أكثمُ بن صيفي : دعامةُ العَقْلِ الحِلْم ، وجماعُ الأمر الصَّبر .

* وقال الحسنُ البصري : الحليمُ سليم ، والسَّفيهُ كليم .

وهذان القولان في الحلم جَريا مجرى الأمثال .

* وممّا حُفِظَ عن العربِ قولُهم : عُدِلَ السَّفيه بألف حليم .

* وقال الأصمعي : لا يكادُ يجتمعُ عشرةٌ إلا وفيهم مقاتلٌ وأكثر ، ويجتمعُ ألف ليس فيهم حليم[2] .

* وقولُهم : لا حُلمَ لمَنْ لا سفيه له .

* وقولهم : ليس الحليمُ مَنْ إذا ظُلمَ فحلم ، حتى إذا قدر

---

(١) راجع فصل : الحلم والسؤدد في هذا الكتاب .
(٢) عيون الأخبار (٣/ ٢٨٧) .

انتقم ، ولكنَّ الحليمَ مَنْ ظُلمَ فحلُم حتى إذا قدر عفا .

* وقالوا : إذا تلاحتِ الخصوم ، تسافهتِ الحلوم .

* وأوردَ الميداني في مجمع الأمثال أنَّهم قالوا : ضَلَّ حلمُ امرأةٍ فأين عيناها . والمعنى : هَبْ أنَّ عقلَها ذهبَ فأين ذهبَ بصرُها ؟ يُضربُ في استبعاد عقل الحليم .

* ومن الأمثال المشهورة التي نُسِبَ فيها الحلمُ إلى أهلِ الحلمِ قولُهم : أحزمُ من سنان ، وأحلمُ من سنان[1] ؛ قال أبو هلال العسكري : ولم يُجمع الحزمُ والحلمُ لأحدٍ غيره ، وهو سنان بن أبي حارثة[2] .

* وقال الأصمعي : سمعتُ أعرابياً يقولُ : كان سنانُ بن أبي حارثة أحلمَ من فرخ الطّائر . قلتُ : وما حلمُ فرخ الطائر ؟ قال : إنَّه يخرجُ من بيضةٍ في رأسِ جبل ، ولا يتحرَّك

---

(١) كتاب جمهرة الأمثال (١/ ٣٢٩) برقم (٦٨٣ و ٦٨٤) ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ١٩٨٨ م .

(٢) المصدر السَّابق نفسه .

حتى يتوفَّر ريشه ، ويقوى على الطيران[1] .

* وقالوا : أحلمُ من الأحنف[2] . وهو الأحنف بن قيس . والحلماء كثيرون ، يُقال : أحلام عاد ، كما قال الشاعر :

على امرىءٍ هَدَّ عرشَ الحيِّ مصرعُه
كـأنَّـه مـن ذوي الأحـلامِ مـن عـاد

وقال النَّابغة :

أحلامُ عادٍ وأجسادٌ مُطهَّرةٌ من المعقَّةِ والآفاقِ والإثمِ

* وذُكرَ حلْمُ لقمان بن عاد ، وحصن بن حذيفة ، وزرارة بن عدس ، وحاجب بن زرارة ، وغيرهم .

* وهذا ولم يحظَ أحدٌ من ذكر الحلم بما حظي به

---

(١) العقد الفريد (٢/ ٢٨٠) بتصرف يسير جداً .
(٢) جمهرة الأمثال (١/ ٣٢٨) برقم (٦٨١) ، ومجمع الأمثال (١/ ١٤٨) .

الأحنف بن قيس هذا ، وأسبابُ الأمور عجيبة ، وكان يقول :

لست بحليم ولكنّي صبور ، أو قال : ولكنّي أتحالم .

وقيل له : ما الحلم ؟

فقال : الذُّلُّ تصبرُ عليه[1] .

* وقال أبو تمّام مادحاً ـ وقد ذكر حلم الأحنف في معرض مديحه ـ :

إقدامُ عمرو في سماحةِ حاتمٍ
في حلمِ أحنفَ في ذكاءِ إياسِ

* وممّا يُروى عن حلمِ الأحنف أنَّ رجلاً شتمه ، وألحَّ عليه ، فلمّا فرغَ قال له : يا بن أخي ، هل لك في الغداء ؟ فإنَّك منذُ اليوم تحدو بجُمَلٍ ثقال[2] .

* ومن الأمثال السَّائرة التي تُنسبُ إلى أشخاصٍ قولهم :

---

(١) العقد الفريد (٢/ ٢٧٧) .

(٢) عيون الأخبار (٣/ ٢٨٣) .

أحلمُ ممّن قرعت له العصا . أو : إنَّ العصا قُرِعَتْ لذي الحلم . يُضرب لمن إذا نُبِّه انتبه . قال العسكري : والحلم عند العرب : العلم .

* وقيل هذا المثلُ : أحلمُ ممّن قُرعت له العصا : هو عامرُ بن الظّرب العدواني ، وكان من حُلماء العرب وحكّامها ، وكان قد أسنَّ ، فربّما هفا في نادي الحُكْم ، فتُقرعُ له العصا فيرتدع . قال المتلمّس :

لذي الحلمِ قبل اليومِ ما تُقْرَعُ العصا
وما عُلِّمَ الإنسانُ إلا ليعلما

* وقال الحارثُ بنُ وعلة :

وزعمتَ أنَّا لا حلومَ لنا
إنَّ العصا قُرِعَتْ لذي الحلمِ

* وقال الفرزدق :

فإنّي كنتُ أستأني حلومَ مجاشعٍ
فإنَّ العصا كانت لذي الحلمِ تُقرعُ

الفصلُ الثّاني

ذَمُّ الحِلْمِ في الأمثالِ

*يبدو ذمُّ الحلمِ في أمثالِ العربِ قليلاً إذا ما قيس في امتداحه ؛ ولعلَّ ذمَّ الحلمِ في أمثالهم قد وردَ قليلاً ، وورد مصحوباً بموقفٍ ما ، أو حادثةٍ عابرة .

* وممّن جعلَ الحلمَ في موضع النَّدم عيسى بن طلحة بن عُبيد الله ، فقد قيل له ـ وكان حليماً ـ : ما الحلم ؟

قال : الذُّلُّ .

* ولعلَّ المعنى الذي أراد هذا التّابعي الكريم عيسى بن طلحة ، الصَّبر على تحمُّلِ الأذى والشَّتم .

* وقال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما : إنَّ الحلمَ الذُّلّ .

* وقال : لا حلمَ لمَنْ لا سفيه له .

* وقال : ما قلَّ سُفهاءُ قومٍ إلا ذُلُّوا .

* ومن أمثالهم في ذم الحليم قولهم : الحليمُ مطيَّةُ الجَهول[1] .

يُضربُ هذا المثلُ في احتمالِ الحليم . قال العسكري : معناه أنَّ الحليمَ يحتملُ جهلَ الجهولِ ، ولا ينتصفُ منه[2] .

وقال أبو هلال العسكري أيضاً : أجمعُ كلمةٍ سمعناها في الحلم ، ما سمعتُ عمَّ أبي يقول : الحليمُ ذليلٌ عزيزٌ ، وذلك أنَّ صورة الحليم صورةُ الذَّليل الذي لا انتصار له ، واحتمال السَّفيه والتّغافل عنه في ظاهر الحال ذلّ وإن لم يكن به .

وقيل : الحليمُ مطيَّةُ الجَهولِ ؛ لاحتماله جهله وتركه

---

(١) انظر : جمهرة الأمثال (١/ ٢٨٤) برقم (٥٣٢) ، ومجمع الأمثال (١/ ١٤٢) ، والعقد الفريد (٣/ ١٠٤) .

(٢) جمهرة الأمثال (١/ ٢٨٤) .

الانتصاف منه[1] .

فالحليمُ يتوطّأُ للجاهلِ فيركبه بما يريدُ فلا يجازيه عليه كالمطيّة .

ويُشبه هذا المثلَ قولُ الشَّاعر :

وإنَّمـــا الحلـــمُ ذُلٌّ أنـــتَ عـــارفـــهُ
والحلمُ عن قدرةٍ ضَرْبٌ من الكرمِ

* ومن أمثالهم في ذمِّ الحلمِ : لا ينتصفُ حليمٌ من جاهلٍ ؛ لأنَّ الجاهلَ ربّما يغلبُ الحليم ، فيحتمل أذاهُ دون أن ينتقمَ منه .

* وقيل لشيخٍ من الأعراب : ما الحلمُ ؟! فقال : الذي يصبرُ عليه .

* وقال : الحلمُ عقالُ الشَّرِّ ، وذلك أنَّ مَنْ سَمِعَ مكروهةً فسكتَ عنها انقطعَتْ عنه أسبابُها ، وإن أجابَ اتَّصلَتْ بأمثالها .

---

(١) المصدر السابق نفسه .